

شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني

(دراسة موضوعية مقارنة)

Complaint in the Poems of Abu Al-Atahiya
and NasirKhosrow Ghobadiani

د. عباس يداللهي^(١)

زينب رضاپور^(٢)

Abbas Yadollahi⁽³⁾

Zeinab Rezapour⁽⁴⁾

ملخص

يتناول البحث دراسة شعر الشكوى، بواعثها، وأصداءها في شعر أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني في إطار الأدب المقارن. ظهر شعر الشكوى عند هذين الشاعرين نتيجة البواعث المختلفة، فمنها ما تعود إلى البواعث الخارجية كالدين والسياسة والاجتماع، ومنها ما تعود إلى البواعث الشخصية كالمشيب وفراق الأحباء والأقرباء والشعور بالوحدة والغربة. تسبب معظم الشكاوى في شعر أبي العتاهية عن ذم الدهر والخوف من الموت بينما تنتج معظم الشكاوى عند ناصر خسرو عن التدهور في الظروف الاجتماعية والدينية نتيجة ما راجع في المجتمع من التدهور الخلقي ومظاهر الحرمان والاعتداء على الحقوق.

الكلمات المفتاحية: الشكوى، أبو العتاهية، ناصر خسرو، الأدب المقارن.

١ - جامعة شهرکرد / قسم المعارف.

٢ - جامعة أصفهان / قسم اللغة الفارسية وآدابها

3 - University of Shahrekord

4 - Ph.D student of Persian Language and Literature- University of Isfahan

(A Comparative Case Study)

Abstract

The current research aims to investigate complaint, its factors and reflections in the poems of Abu Al-Atahiya and NasirKhosrow Ghobadiani in the framework of comparative literature. Complaint in the poems of these two poets has been formed in the result of different factors, some of which are external ones such as religion, politics and society and the others are personal and internal ones such as senility, separation from dears, loneliness and nostalgia. Most complaints result from reproaching time and fear from death in the poems of Abu Al-Atahiya whereas in NasirKhosrow's poems, most complaints root in unorganized social and religious conditions which in turn result from moral disorders, depravity and offence to rights.

Key Words: Complaint, Abu Al-Atahiya, NasirKhosrow, Comparative Literature.

تمهيد

يعتبر الأدب المقارن (Comparative Literature) منهجاً يحاول الكشف عن علاقات التقارب والتشابه بين الأدبين طلباً لتقريب الآداب العالمية من مجالات المشاعر المشتركة ليخلد الأدب كتراث حي بين الشعوب. الأمر الذي لا ريب فيه أن الدراسات المقارنة تنجر إلى تنمية الآفاق الأدبية والأحاسيس المشتركة، تمكيناً للعلاقات الأدبية وتوطيدها بين الأمم المختلفة للحصول على أوجه التشابه والاختلاف بينها. انطلاقاً من هذا الموقف، يعدّ الأدب المقارن «علماً يزود القارئ بوسيلة تمكنه من النظر إلى الأعمال الأدبية المنفصلة في الزمان والمكان دون اعتبار لحدود الإقليمية... محيطاً وملماً بالظواهر الأدبية بغض النظر عن فضاءاتها ومناهجها المختلفة»^(٥).

إذا أمعنا النظر في مطاوي الشعر العربي نجد أن ظاهرة الشكوى ضربت جذورها في القدم وافتترشت مساحة واسعة من الشعر وحظي منها بنصيب وافر، فيعد الشعراء الصعاليك من أبرز الشعراء الجاهليين الذين امتلأ شعرهم بصرخات الجوع وسوء الحال والفاقة، ولذلك نجد الشاعر الجاهلي يقول:

٥ - علوش، سعيد: الأدب المقارن في العالم العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م، ص ١٣.

وَمَا كَثْرَةُ الشَّكْوَى بِأَمْرِ حَزَامَةٍ وَلَا بَدَأَ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا^(٦)

تعتبر الشكوى صرخة عارمة تجاه المشاعر والأحاسيس المكبوتة والخائبة وتُفصح عن فقدان الصبر وانعدام القوّات الداخلية أمام النوائب والكوارث واستجابة للنفس المثقلة بالأحزان والمآسي، وهي تعدّ حالة شعورية تنبني على وجع وألم داخليّ يلمّ بالإنسان نتيجة أمر يستلزم الإبانة عن الصراخ والتعب والبكاء.

في الحقيقة يصوّر المتوجع نفسه مصاباً بعذاب أو جراح أو تعسّف لا يرى لديه من الإمكانيات سوى الكلام الحزين أو الصارخ، فيسلك مسلكها للتعبير عن مكوناته النفسية ودواخله. فالحزن والشكوى من حالات الإنسان النفسية التي تنشأ إثر الأسباب الداخلية والخارجية لتنم عن ضعفه أو انكساره، فمن ثمّ تلمّ بساحته القلاقل.

الدراسات السابقة

اهتمّ الباحثون بشعر أبي العتاهية وناصر خسرو من جوانب مختلفة، غير أنهم لم يدرسوا شعر الشكوى عندهما خاصة في إطار الأدب المقارن، فلم تجر دراسة مستقلة قائمة بذاتها حتى الآن في شعر هذين الشاعرين من منظور الشكوى. تطرّق أحد الباحثين إلى دراسة شعر أبي العتاهية من منظور تأثير القرآن وموضوعاته في شعره ونشر بحثاً تحت عنوان «المضامين القرآنية في شعر أبي العتاهية» في مجلّة الدراسات الدينية في إيران. نشر بحث آخر حول شعر ناصر خسرو تحت عنوان «التأويل القرآنيّ من منظور ناصر خسرو» وكذلك بحث آخر في مجلّة الأدب الغنائيّ (سنة ١٣٨٩هـ).

لم يتطرق الدارسون في بحوثهم هذه إلى موضوع الشكوى، بواعثها وأنماطها في شعر هذين الشاعرين. فمن ثمّ يحاول البحث تسليط الضوء على شعر الشكوى وأنماطها وحوافزها عند أبي العتاهية وناصر خسرو معتمداً على المصادر الأدبية خاصة ديوانيهما الشعريين والمصادر التاريخية وكتب السير والتراجم حتى يحصل على أصداء الشكوى عندهما عثوراً على أفضل نتيجة في شعر الشكوى لديهما، فهما لمصادر الشكوى وما ساقهما مساق التعبير عن الشكوى في الشعر.

سبب اختيار أبي العتاهية وناصر خسرو للبحث

بما أن أبا العتاهية وناصر خسرو يعتبران في الأدب العربيّ والفارسيّ من الذين اهتموا بقضايا المجتمع في عصرهم، فحاولنا في هذا البحث أن نتطرق إلى دراسة الشكوى عندهما، مع أنّنا نعلم أن موضوع الشكوى تمتّ بصلة وثيقة إلى موقف الشعراء تجاه ما ساد المجتمع من الأعراف والرسوم وهذا مما يجعلهم يعبرون عن مواقفهم تجاه القضايا المختلفة فيه. لقد أطلّ أبو العتاهية وناصر خسرو الكلام عن الحياة النموذجية المثالية التي طالما توقّعا أن تحدث في المجتمع خاصة عند ناصر خسرو

٦ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين (مج ٣)**، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٧٩م، ص ٦٣.

الذي ملأ أدبه عامة وشعره خاصة بالمضامين الدينية والحكمية وأدرج فيها انتقاداته ابتغاء الإصلاح في مختلف المجالات كالدين والسياسة حيث عدّه أحد الأدباء «أشجع ممثل لفكرة الاحتجاج في الأدب الفارسي»^(٧).

أهداف البحث

تشكل هذه الدراسة محاولة للوقوف على ظاهرة الشكوى وأنماطها من خلال أشعار أبي العتاهية وناصر خسرو وكيفية تطرّقهما إلى هذا الموضوع لفهم هل كان هذا الموضوع مجرد فكرة عابرة خطرت بذهنهما، أم كان تدعمها الأسس الفكرية أو الاجتماعية أو الشخصية أو غيرها، وكذلك الكشف عن مدى تأثير البواعث الخارجية كالدين والسياسة والشعور بالوحدة والأسباب الداخلية في تكوين شعر الشكوى عندهما. يعتمد البحث على المدرسة الأمريكية من مدارس الأدب المقارن للعثور على أوجه الاختلاف والاشتراك في موضوع الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني.

١- مفهوم الشكوى

الشكوى مفردة تعبر عن الحزن والتوجع، فذكر صاحب «لسان العرب» أنّ الاشتكاء إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه وقال: الشكاية والشكية إظهار ما يصفك به غيرك من مكروه واشتكت فلاناً إذا فعلت به فعلاً أحوجّه إلى أن يشكوك^(٨).

والمراد منها من منظور المصطلح «التوجع من شئ تنوء به النفس، كالمرض، والشيخوخة، والموت، والدهر وغير ذلك من المظاهر والحالات التي قد تعرض للشخص فتكدر عليه صفو الحياة ويشعر إزاءها بالهموم وشدة اليأس»^(٩).

الأمر الذي لا ريب فيه أنّ الإنسان في حياته اليومية لا يكون على حالة واحدة من الثبات والاستقرار، بل تتناوب الأمراض والمتاعب طوال الحياة، فيختار الشكوى بمثابة قالب يفرغ فيه مكنوناته وهواجسه الداخلية. فمن ثمّ تنبعث الشكوى من الشعور بالتعسف أو الحرمان نتيجة ما شاع في المجتمع الإنساني من الفوضى والاعتداء على الحقوق وعدم الاهتمام بالمبادئ الإنسانية، فكّلما راج الحرمان والظلم ضدّ الإنسان زاده حسرة وشكوى «نتيجة لما أحدثته الأيام، فما عاد للسعادة طعم عند الناس حتّى وإن عرفوا الاستقرار في يوم من الأيام»^(١٠). انطلاقاً من هذا

٧ - إسلامي ندوشن، محمد علي: بيوند فكر وشعر در نزد ناصر خسرو، مشهد، دانشگاه فردوسی، ۱۳۵۵ هـ، ص ۵۰.

٨ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن محمد: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٠ هـ، مادة شكاء.

٩ - الشهري، ظافر عبدالله: الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط ١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢ م، ص ١١.

١٠ - ثقفان، عبدالله بن علي: الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، ط ١، الرياض، مكتبة لتوبة، ١٤١٧ هـ، ص ٦٠.

الموقف، تعتبر الشكوى من أصدق الموضوعات الشعرية التي ترسم حالة الإنسان أصدق ترسيم وتكشف عن واقع المرء ومعاشه وهي أفضل وسيلة للإبانة عن أشجانه وآلامه التي يواجهها طيلة الحياة.

تنشأ الشكوى من مصادر مختلفة، فمنها ما تعود إلى عدم تحقيق الطموحات والإحساس بالإحباط والفشل فيها، ومنها ما تنبعث من الظروف السائدة على المجتمع من الأخلاقية والسياسية والدينية، ومنها ما تنشأ عن خصائص الشخص النفسية وما جبل عليها. فمن هذا المنطلق، تعتبر الشكوى ذلك الطريق الوحيد للإبانة عن الوجد الداخلي الذي يعانيه الإنسان إزالة للهموم والآلام.

تتميز الشكوى عن بقية الموضوعات الشعرية بفقدان التصنع وتفيض بالمكابدة والوجد والصدقة في الإفصاح عن المكونات المليئة بالألم والهم.

٢- الشكوى قبل أبي العتاهية

لم تكن الشكوى في الشعر العباسي خاصة عند أبي العتاهية ظاهرة حديثة ظهرت إثر الأسباب السياسية أو الاجتماعية أو غيرها، بل كانت ظاهرة قديمة قدم الأدب نفسه واختلطت بسائر الموضوعات الشعرية ضمن القصيدة، فإذا أمعنا النظر في الشعر الجاهلي نرى الملك الضليل، إمرئ القيس، يعبر عن نفس المعنى قائلاً:

عوجاً على الطلل المحيل نبكي الديار كما بكى ابن حذام^(١١)

عندما وجد الشاعر الجاهلي نفسه أمام مصائب الحياة وما ألم به من العجز والحرمان لم يرتجأه طريقاً سوى التعبير عن المشاعر الدفينة وبث الشكوى «فإنه قد تظلم حينما شعر بالظلم وشكا حينما أحس بالحيف»^(١٢).

عندما بزغت شمس الإسلام ونورت المجتمعات الإنسانية بالمكارم الأخلاقية والمثل الدينية السامية اكتظت الحياة في جميع مجالاتها بمعالم الإصلاح والأسس الفكرية النبيلة، فالإسلام لم يهتم بالمبادئ العقيدية للمسلمين فحسب، بل «رسم لهم أيضاً طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم حتى ينالوا رضا الله ومحبه»^(١٣).

إن الممغن في شعر الشكوى في هذا العصر (العصر الإسلامي) يجد أن الإسلام وتعاليمه السمحة أضفى عليها نوعاً جديداً من الشكوى التي تختلف عما نجده عند الجاهليين. اتجه عدد من الشعراء في

١١ - بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم نجار، مج ١، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ٦٠.

١٢ - التميمي، قحطان رشيد: "الشكوى في الشعر الجاهلي"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، المجلد الثاني، العدد ١٣، ١٩٧٠م، ص ١٤٠.

١٣ - ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط ٧، مصر، دار المعارف، د.ت، ص ١٤.

العصر الإسلاميّ في التعبير عن شكواهم إلى الله تعالى ، فتكوّن هذا الأمر من خلال التعاليم الدينية السمحة ، ومن ثم وجه جميل بثينة شكواه إلى الله تعالى إثر صيدود حبيبته قائلاً :

إلى الله أشكو، لا إلى الناس ولا بد من شكوى حبيب يروغ
ألا تتقين الله فيمن قتلته فأمسي إليكم خاشعاً يتضرع^(١٤)

تأثر الشعراء والأدباء في هذا العصر بالمعطيات والموضوعات الدينية والإسلامية ، فنشأت الشكوى لديهم في محاور جديدة لم يسبق عهد بها عندهم ، كالحنين إلى الديار والمواطن ، نزوح المناضلين عن الوطن مجاهدة في سبيل الله تعالى ، والشكوى من الحكام وتعسفهم ، والشكوى من الفاقة والفقر المدقع ، فنلاحظ من خلال هذا الأمر أنّ الشعر جاء استجابةً للمؤثرات الجديدة التي تنطبق مع ما كان عليه المجتمعات من الظروف الحديثة ، فتنوّعت موضوعاته وتشعبت واستقلت قصائد الشكوى .

٢-١ - الشكوى قبل ناصر خسرو

ظهر شعر الشكوى في الأدب الفارسيّ في القرن الثالث الهجريّ وتنقسم حسب الموضوع إلى خمسة أقسام : الشكوى الفلسفية ، العرفانية ، الاجتماعية ، السياسية والشخصية . إذا أمعنا النظر في ثنايا الشعر الفارسيّ نجد أنّ الشكوى عند القدامى أي قبل ناصر خسرو ، جاءت بصورة غير مستقلة ومبعثرة في تضاعيف القصائد ، لكنها صارت بمثابة فنّ مستقلّ قائم بذاتها بعد عصر النهضة الدستورية^(١٥) .

ظهرت الشكوى في العصر السلجوقيّ بصورة واضحة في الشعر الفارسيّ نتيجة ما ألمّ بالمجتمع من التدهورات الاجتماعية والسياسية وما ترك من بصمات واضحة ومؤثرة في نفسية الشعراء حيث نستطيع أن نعدّ الشكوى في القرن السادس فرعاً من فروع الأدب الغنائيّ واستبدلت الشكوى في هذا العصر بالتشبيب والتغزل الذي راج في العصر الساماني ، ويعود السبب إلى التدهور وشيوع الفوضى في الظروف السياسية والاجتماعية^(١٦) ، فجعلت هذه الظروف المتدهورة الشعراء يطلقون اللسان في الشكوى من الدهر وأبنائه والتنفير منه والشكوى من كساد سوق الفضل وطموس معالم المروءة^(١٧) .

١٤ - بثينه ، جميل : ديوان ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٥ .

١٥ - دادبه ، اصغر : دائرة المعارف بزرگ اسلامی ، ج ١١ ، تهران ، سخن ، ١٣٨١ هـ ، ذيل بـ الشكوى ، ص ٣٢٠ .

١٦ - صفا ، ذبيح الله : تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ، تهران ، فردوس ، جاب هشتم ، ١٣٦٦ هـ ، ص ٣٦٦ .

١٧ - شميسا ، سيروس : سبك شناسی شعر ، جاب دوم ، تهران ، فردوس ، ١٣٧٥ هـ ، ص ١٨٠ - ١٧٩ .

٣- نظرة موجزة إلى حياة أبي العتاهية وناصر خسرو

يعتبر أبو العتاهية من أبرز وأهم الشعراء العراقيين الذي ولد وترعرع في حضن الأدب في العراق. ولد إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الملقب بـ «أبي العتاهية» سنة ١٣٠ هـ، وكني بـ «أبي - العتاهية»، لأنه كان يحب المجون والتعته والشهرة^(١٨). عاش عصراً امتاز بكثرة الأزمات الروحية والفكرية، وتكون موجات الشك والحيرة في تعاليم الدين الحنيف، وهذا ناتج عن كثرة الفرق والنحل والأقوام^(١٩). شاهد طوال حياته تعسف العباسيين وتقلباتهم السياسية، وما يلحق العلويين من أذى وتقتيل وتشريد^(٢٠). لا ريب أن العصر العباسي من العصور التي تجلّت فيه المتناقضات الفكرية والعقيدية، فمن جانب ظهرت طبقة من الشعراء الذين أسرفوا في حياة العبث والمجون وعبوا من كوؤسها، كأبي نواس وبشار بن برد، ومن جانب آخر ظهر آخرون ملأوا حياتهم بالتقوى والنسك والزهد، كإبراهيم بن أدهم، ورابعة العدوية. نشأ أبو العتاهية في مثل هذه البيئة فلا غرو إن تأثر بها، ومن ثم نستطيع أن نعد شكواه ردّة فعل ضدّ الشذوذ الخلقي والديني الذين سادا عصره. ولد الحكيم ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي المكني بـ «أبي معين» سنة ٣٩٤ هـ في «قباديان» من أعمال «بلخ»، وفي النهاية توفي سنة ٤٨١ هـ في «قباديان» بـ «بدخشان»^(٢١).

عاش ناصر خسرو في عصر كثر فيه الجدل بين الملل والنحل الفكرية، وعانى الوطن ظلم عدد من الحكام الغزنويين والسلاجقة، فتسرّبت أصداء هذا الجدل في شؤون الناس وحدثت أحياناً الفتن والثورات. نشأ في فترة شاع فيها التعصب في العقائد والآراء الدينية ولم يكثرث بحرية الفكر والقول وتدخل بعض الحكام في شؤون الناس لاسيما العقائد الفردية. فاشتغل عدد غير قليل من الأدباء والشعراء بمدح الملوك بدل الإقبال على المضامين والمعارف الدينية السامية^(٢٢).

٤- أنماط الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو

٤-١- أنماط الشكوى عند أبي العتاهية

تطرق أبو العتاهية في ديوانه الشعري إلى أنماط مختلفة من الشكوى نتيجة الأسباب المختلفة التي يعود بعضها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية ويعود بعضها الآخر إلى الأسباب الشخصية والمواقف الفلسفية وما أحاط به من الهواجس الدفينة.

- ١٨ - الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، شرحه سمير جابر، مج ٤، ط ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م، ص ٥.
- ١٩ - الفاخوري، حنا: الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب المولّد)، مج ٢، بيروت، دار الجليل، ١٩٩١ م، ص ٣١٤.
- ٢٠ - نوفل، محمد محمود قاسم: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧ م، ص ١٨١.
- ٢١ - صفا، المصدر السابق، مج ٢، ص ٤٥٢.
- ٢٢ - نفس المصدر، ص ٢٣٥.

تنقسم الشكوى عند أبي العتاهية بصورة عامة إلى أربعة أقسام: ١- الشكوى من الشيب وما حل به من الضر والمرض والفقر، وقد أدرج الشاعر فيها الشكوى من الدهر، الناس، والشكوى من الأيام التي قضاها الشاعر في حياة العتب خاصة عهد الشباب ٢- الشكوى الفلسفية وهي تشمل على الشكوى من لغز الموت وتمني الخلود في الحياة الدنيا ٣- الشكوى الذاتية وهي تشمل على الشكوى من ضعة النسب، والشكوى من فراق الحبيبة وهجرها ٤- الشكوى الاجتماعية.

٤- ١- ١- الشكوى من الشيب

تعد الشيخوخة من مراحل الحياة الإنسانية التي يكثر فيها الشكوى والتذمر لما فيها من التأثير البالغ في الاهتمام بذكر الموت والاستعداد للرحيل الأكبر، فهي رسول الموت الذي يكشف عن زوال الشباب وأيام الدعة والتنعم وتسرب الضعف في كيان الإنسان وينم عن ضعف القوة وكمال البصر ودنو الموت ونهاية الأمر.

يعتبر الشيب والشباب وما يرافقه طيلة الحياة حتى الموت من الموضوعات التي شغلت ذهن أبي العتاهية وأثارت زوبعة في كيانه، فلا نغلو إن قلنا إن المشيب يعد بعد فكرة الموت ومصير الإنسان من الموضوعات الرئيسية التي شغلت باله في الحياة الدنيا. فهو فضلاً عن تحسره عقب فقدان الشباب وما تمتع به من الملهيات، نجده يسأل عن نهاية الإنسان في الحياة الأخرى وصلة الشيب والإنابة بتلك الحياة وما اقترف في الحياة الدنيا من الآثام والذنوب التي أثقلت كاهله.

إن المتأمل في شعر أبي العتاهية يجد أن الشاعر برمته يخاف من الشيب إثر ما ارتكب في الحياة من المنهيات ويخاف من مصيره في تلك الحياة الخالدة، وتصل كراهية الشاعر للشيب مرتبة يجعله مساوياً للموت فيعتبره إحدى الميتين، لأنه يحرم وانقطعت أيديه مما تمتع به من الملهيات في أيام الشباب ومن أجل ذلك يتحسر أشد التحسر على انعدام الشباب، فيقول:

رَأْسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدَوَّرِ رِحَاهُمَا	الليل شيب والنهار كلاهما
ونفوسنا جهراً ونحن نراهما	يتناهبان لحومنا ودماءنا
إحداهما وتأخرت إحداهما	الشيب إحدى الميتين تقدمت
يوماً فقد نزلت به أخراهما ^(٢٣)	فكان من نزلت به أولاهما

تعد الشعرات البيض في رأسه وما رافقها من الضعف والآلام من أهم البواعث التي ساقى الشاعر مساق التعبير عن الشكوى في زمن الشيخوخة وهي من الملامح التي تشير إلى دنو الموت وذهاب النشاط وقدم الهرم. وقف أبو العتاهية من الشيخوخة موقف الغاضب والمتشائم الشاكي من اقترانها به، فوجد نفسه عاجزاً عن مواجهة الزمن، فيبكي زماناً قضاه في عنفوان الشباب أو

٢٣- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان: أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دمشق، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٣٥٣.

زماناً تتمّع فيه بالملهيات الدنيا، ويزدرف الدموع لأيام لم تثقل كاهله فيها سوى أعباء الشيخوخة وسقمها، فتحقق له البكاء والعويل على ما فقد وشعر بالخوف ممّا هو آتٍ.

الشكوى من ذهاب الشباب وحلول المشيب من الموضوعات التي شغلت بال الشاعر في زمن الشيخوخة، فنراه دائماً متحسراً متألماً على ما فات من فرص الشباب وما ألمّ به في الشيخوخة من الضعف والوهن والانكسار، فيقول باكياً على الشباب الذاهب:

لَهْفِي عَلَى وَرَقِ الشَّيَابِ	وَعَصُونَهُ الْخَضِرَ الرَّطَابِ
ذَهَبَ الشَّيَابُ وَبَانَ عَنِّي	غَيْرَ مُنْتَظَرِ الْإِيَابِ
فَلَأَبْكِينَ عَلَى الشَّبَا	بِوَيْطِيبِ أَيَّامِ التَّصَابِ
وَلَأَبْكِينَ مِنَ الْبَلِي	وَلَأَبْكِينَ مِنَ الْخَضَابِ ^(٢٤)

يتّضح لنا من خلال هذه المقطوعة أنّ الشاعر قد بلغ من الطعن في السنّ ما جعله يتحسّر على أيام الشباب التي عاشها في سرور ودعة، فهو يرقب الموت بما يمثله من الضعف وما يصاحبه من مشاعر الاستسلام لقدر المشيب والخور والعجز الجسماني بزمن القوة والشباب وربما كان هذا العجز وخيبة الآمال من أهمّ دواعي التوجع والشعور بالأسى والانكسار لديه. فتتسم نظرتّه هنا بنظرة الإنسان المتأمل الذي كاد يغصّ بذرف الدموع السخينة خوفاً من الفناء وأصابته همومه الفادحة وجدانه بالغضون في زمن الشيخوخة، فيحنّ من وطأة الشيب وفداحة موقفه.

٤ - ١ - ١ - ١ - الشكوى من الزمان

اكتظت العصور المختلفة في الأدب بالشكوى من الزمان، لأنّه يرفع الجهلاء والأراذل ويضع الفضلاء والعلماء. حفل العصر العباسي خاصة أيام أبي العتاهية بشكوى الزمان ومعابته للدهر ويعتبر هذا النوع من الشكوى آهات طبيعية لقساوة الدهر وتدهور الظروف العامة في الحياة. إذا أمعنا النظر في مثل هذه الشكوى نجد أنّها لم تصدر من فلسفة ذات أبعاد محدّدة تدعمها المواقف الفكرية أو الفلسفية تجاه لغز الحياة والناس، بل كانت أصداء نفسية مليئة بالحوادث والوقائع التي جرّته نغب التّهمام والأسى.

تصوّر مواجهة أبي العتاهية لشكوى الزمان في أوضح صورها أصداء واسعة لما تركته الظروف المتدهورة من بسمات واضحة في حياة العامّة، فعلى سبيل المثال عندما نراه متشاكياً من الواقع المعاش معبراً عن السخط، لم يستطع أن يعبر عن صريح الكلام في مواجهة الظالمين خوفاً من التنكيل والعقاب. فمن هذا المنطلق، تجاهل مصادر الفساد الحقيقي وكنى عنه بالزمان أو الدنيا والدهر وأبنائه.

افترشت الشكوى من الزمن مساحة واسعة من شعر أبي العتاهية حتى صار الزمان رمزاً لمحنة الشاعر وقالباً لبث مصائبه وآلامه، فاتخذ من الزمان ما يساعده على التعبير عن آلامه وأشجانه،

بينما نجد وراء هذا الأمر بواعث مختلفة أخرى كالسياسية والاجتماعية التي كانت من البواعث الخفية التي تكمنت في نفسيته الكئيبة.

نشأت الشكوى في القرنين الثاني والثالث نتيجة اتساع الفقر والبؤس في المجتمعات البشرية، فمن ثم اتجه عدد غير قليل من الشعراء في شعرهم نحو التعبير عن الشكوى إثر المتغيرات السياسية والاجتماعية التي ألمت بالحياة، فأرادوا التعبير عن مدى أشجانهم وآلامهم للإفصاح عن سخطهم إزاء تلك الأحداث متجاهلين مصدر الاضطراب الحقيقي للقلق، فكنوا عن قلقهم وأسبابه بالزمان والدهر والدينا^(٢٥).

اختلف الخطاب عند أبي العتاهية للزمان حيث اختار له صوراً ومسميات مختلفة، منها الزمان، الأيام، الدنيا والليالي وقد اهتم بالليل والنهار اهتماماً خاصاً لما ينمّان عن شدة وجدانه ووليه في هذه الأوقات. الواقع الذي لا شك فيه أن الزمان في شعره يعدّ رمزاً للإفصاح عن طموحاته وآماله الضائعة، فاتخذ الزمان للدلالة على رفض الواقع العام حين يصف الليل والنهار يقضيان على كل شئ ويأخذان كل ما يعطيان، فيقول:

لَوْ عَقَلْنَا إِذِ النَّهَارِ يَسُوقُ الْـ لَيْلَ وَاللَّيْلِ إِذِ يَسُوقُ النَّهَارَ
لَرَأَيْنَاهُمَا بِمَرِّ حَيْثُ يَطُوبَانِ الْأَعْمَارَ وَالْأَنَارَ^(٢٦)

يأخذ الزمان مسمى آخر عند أبي العتاهية حيث يخلق دلالة جديدة للإطار الزمني الذي عاشه، فمن ثم حضرت كلمة «الدهر» في ديوانه الضخم حضوراً فعالاً، فاختلطت همومه النفسية بمعطيات الدهر وأبنائه وحينما تصيبه كارثة يعزوها إلى الدهر، ويقول:

أَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ لَا يَلِ لَرِيهِ تَخَرَّمَ رَبِّبَ الدَّهْرِ كُلَّ إِخَاءِ
وَمَزَقَ رَبِّبَ الدَّهْرِ كُلَّ جَمَاعَةٍ وَكَدَّرَ رَبِّبَ الدَّهْرِ كُلَّ صَفَاءِ^(٢٧)
لَمْ يَكْسِنِي الدَّهْرُ يَوْمًا مِنْ مَسْرَتِهِ إِلَّا جَرِيَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ بِتَجْرِيدِ^(٢٨)
جَزَعْتُ وَلَكِنْ مَا يَرِدُ لِي الْجَزَعُ وَأَعُولْتُ لَوْ أَغْنَى الْعَوِيلُ وَلَوْ نَفَعَ^(٢٩)
أَيَا دَهْرٍ قَدْ قَلَّلْتَنِي بَعْدَ كَثْرَةِ وَأَوْحَشْتَنِي مِنْ بَعْدِ أَنْسٍ وَمَجْتَمَعِ

تطرق أبو العتاهية إلى فكرة الزمن الذي يقربه من الشعراء المحدثين في عصره، فأرجوزته «ذات الأمثال» يمكن أن نسميها «لوحة الزمان والزوال»، لأن الشاعر صور فيها ديبب الزمن على نفسه كما صور فيها سرعة مرور الأيام، فجعل الزمان بمثابة كيان مستقل وعبر من خلاله عن الهموم

٢٥ - الزهيري، محمد: الأدب في ظل بني بويه، مصر، الأمانة، ١٩٤٩م، ص ٢٤٣.

٢٦ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ١٤٦.

٢٧ - نفس المصدر، ص ٣.

٢٨ - نفس المصدر، ص ١٢٣.

٢٩ - نفس المصدر، ص ٢٢٦.

والمتابع التي خلقتها كثرة الذنوب والمعاصي في الحياة خاصة عنفوان الشباب. نلاحظ من خلال هذه المقطوعة شعوره العميق بالخوف من مغبات الحياة المثقلة بالذنوب والكبائر ومستقبلها في تلك الحياة الخالدة، فنراه مصارعاً مع آلامه النفسية.

٤- ١- ١- ١- ١- الشكوى من الناس

أدرج الشاعر في ثنايا القصائد التي تتعلق إلى شكوى الزمان، شكوى الناس وما كانوا عليه من القبائح والذمائم. يستنتج من شكوى أبي العتاهية من الدهر وأهله أن هذه الشكوى ربما تصدر من عدة مصادر: التجربة الشخصية التي اكتسبها الشاعر بين أبناء الدهر وما أصابه خلالها من الحرمان والقنوط وسوء التصرف به، شعوره بضعة النفس والنقص، التدهور في الظروف الاجتماعية خاصة الدينية والخلقية، استعداده الفطري للذم والأخذ على الآخرين بدل المدح. فهو حيناً ينسب البخل إلى الناس وحيناً آخر ينسب إليهم فساد الأخلاق وأخيراً بقلّة جدواهم وزوال الوفاء بينهم ويتصفهم بالغدر والشماتة، فيقول:

برميت بالناس وأخلافهم
ما أكثر الناس لعمري وما
فصيرت أسئلتاً بالوحدّة
أقلهم في حاصل العدة^(٣٠)

تكشف هذه الشكوى عن نفس خائبة محبطة لم تثق أحداً من الناس وصارت ترقب أبناء البشر على أن أهم ما يميزهم الخيانة والغدر قائلاً:

فيا رب إن الناس لا ينصفونني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه
وإن طرقتني نكبة فكهوا بها
وإن وجدوا عندي رخاء تقرّبوا
سأمنع قلبي أن يحن إليهم
ألا إن أصفى العيش ما طاب غبه
وكيف وكون أنصفتهم ظلموني
وإن جئت أبغي شيئهم منعوني
وإن صحبتني نعمة حسدوني
وإن نزلت بي شدة خذلوني
وأحجب عنهم ناظري وعيوني
وما نلت في عفة وسكون^(٣١)

لقد أدرج الشاعر في تضاعيف قصائده الشكوى من قلّة الأصدقاء المخلصين والذين يتمنى الشاعر الاتكاء عليهم في أيام الشدة أو الرخاء، فيشتكي من قلّة الأصدقاء الأوفياء في زمن تكالب الناس فيها على ملهيات الدنيا ومغرياتِها، فيقول:

إن أخاك الصدق من كان معك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
ومن يضر نفسك لينفعك^(٣٢)
شئت فيه شمله لينفعك

٣٠- نفس المصدر، ص ١٣٤.

٣١- نفس المصدر، ص ٣٦٥.

٣٢- نفس المصدر، ص ٢٧٤.

يتضح لنا من خلال هذه المقطوعة أنّ الشاعر «يعاني قلة الأصدقاء ويشتهي توافر الصداقة الحقّة فيمن يصادقهم»^(٣٣)، فمن ثمّ ذهب أحد النقاد إلى أنّه «لو لم يكن لأبي العتاهية إلاّ هذه الأبيات التي أبان فيها صدق الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزاً على غيره ممن كان في عصره»^(٣٤).

٤-٢- الشكوى الفلسفية

تتضمن الشكوى الفلسفية على لغز الموت وما أثار في نفسية أبي العتاهية من المخاوف تجاه هذا الموضوع في الحياة، فهو دائماً يشعر بخوف شديد من الموت وكان موت الأقرباء والأصدقاء يمرّ على قلبه ويبكيه، فضلاً عن أنّ الموت نفسه دليل على الحزن ومبعث الشكوى. اتخذ أبو العتاهية الموت أداة طيعةً للتخويف والتحذير خاصة في العصر الذي يعجّ بالظروف القاسية خاصة من الجانب السياسي التي تهدّد استقرار الإنسان وحياته بأسباب الموت، فكلّ هذا جعل من الرثاء والنصح والموعظة شكوى، وصار التناقض العقيدي وكثرة الملل والنحل الفكرية والجوع والبؤس مؤشرات تدفع إلى القلق والخوف من المصير.

تنوعت أسباب خوف الشاعر من الموت، فمنها ما تعود إلى ما تحمّل طيلة حياته من عقدة النقص والتعير وضعة النسب، ثمّ ما عانى الضعف الجسماني إضافة إلى رؤيته لما أريق في الكوفة من دماء أثناء طفولته الأولى بسبب مقاومتها للعباسيين، فكل ذلك انجرّ إلى تهيئة أرضية مناسبة لنمو بذرة الخوف الشديد من الموت، أي إنّهُ قبل أن يهدّد الناس بالموت ويتمناه لهم قد ظلّ يرتعش ساعات وأياماً طويلاً أمام شبح غوله المخيف^(٣٥)، فللموت قوة مهيمنة لا تستطيع أيّ قوة مواجهته، فلهذا أقام صلوات وطيدة بين الموت والزمن.

اتخذ الشاعر القبور من أهمّ المظاهر في الحياة التي تثير الأشجان في نفس الإنسان ويعدّ الأحداث هي المصير النهائي للإنسان. فالشاعر رغم إقباله الشديد على الدنيا والتهاوت على مغرباتها يحاول أن يقلّل من شأن الحياة والدنيا حين يقبح التفجّع والتحسّر على ذهابها الحثيث ويعدّ تجربة الموت بين الأنام بمثابة مصدرٍ ثرٍّ للتعزيز والهدوء ويقول:

الموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقي ولا ملك^(٣٦)

٤-٣- الشكوى الذاتية

يشتمل هذا النوع من الشكوى على الشكوى من ضعة النسب ومحاولة الهروب من واقعه المؤلم، والشكوى من فراق الحبيبة وصدودها خاصة من قبل «عتبة» التي هام أبو العتاهية بها وقاسى

٣٣ - ضيف، د.ت، السابق، ص ٢٥١.

٣٤ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج ٣، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر. د.ت، ص ٣١٩.

٣٥ - الكفراوي، محمد عبدالعزيز: أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢م، ص ٦٦.

٣٦ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

من حبها صنوف العذاب والألم، لكنه خاب وأحبط في ذلك الحب وهذا الأمر من البواعث التي ساقَت الشاعر مساق التزهّد والتسكّ.

هرب أبو العتاهية طيلة حياته من الأصالة النبطية، لأنها كانت من الطبقات الحقيرة في الحيرة، فساقه هذا مساق التعويض للإحساس بهذا النقص والهوان. إن ضعة الشاعر لم تنشأ من خلال اضطراب الشاعر في أصالته فقط، بل تعود إلى مهنة أبيه الذي كان حجّاماً زمن حياته ويشير الشاعر إلى نفس الموضوع في شعره ليزيل عن نفسه عار هذه المهنة قائلاً:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ وَحَبِّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدَّلُّ وَالْعَدَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِي نَقِصَةً إِذَا صَحَّ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمُ^(٣٧)

أفصحت هذه الشكوى النفسية عن حسرة وألم دفين في نفس الشاعر وكانت شكواه ناتجة عن نفس متعبة ومثقلة بالهموم وما ألم بها من المصائب والكوارث. انطلاقاً من هذا الموقف، نرى الشاعر يحن إلى حب «عتبة» في شعره ونبض قلبه بحبها وهام بها وأحبها بكل عواطفه، وحينما قنط من العثور عليها أذرت عيناه الدموع السخينة ووجف فؤاده وعبر عن شكواه تجاه الحبيبة آملاً ودّها ووصولها، فيقول:

يَا عَتَبَ هَجَرَكِ مَوْرَثَ الْأَدَاوِ وَالْهَجَرِ لَيْسَ لِدُنَا بِجِزَاءٍ
يَا صَاحِبِي لَقَدْ لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى جِهْدًا وَكُلَّ مِذْلَةٍ وَعِنَاءٍ
عَلِقَ الْفُؤَادُ بِحَبِّهَا مِنْ شَقَوْتِي وَالْحَبِّ دَاعِيَةٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ
إِنِّي لَأَرْجُوهَا وَأَحْذَرُهَا فَقَدْ أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءٍ^(٣٨)

لقد تراكم جمّ غفير من مقطوعاته بالشكوى من الحبيبة المجافية التي صدّت عن الشاعر المتيّم، فهزّت النفس من أعماقها ويلقي الشاعر من صدودها ما لقي، ومن أجل ذلك وردت أصدااء هذا الأمر في شعره مما تمثل مدى معاناته ومكابدته صارخاً شاكياً باكياً مصرحاً بما يعانیه من الوجد والألم الفراق.

سالت دموعه الغزيرة على فقدانها وأصيب بالنكد والحزن إثر صدودها، فصارت «عتبة» جزءاً لا يتجزأ من عقدة النقص التي يعانيتها الشاعر، ومن الثورة العارمة على الأوضاع الاجتماعية، وفي هاتين الأخيرتين تكمن الأسباب الحقيقية والعميقة لتحوّله إلى الزهد الظاهري^(٣٩)، فالهم وعدم تحقّق الرجاء يعصران قلبه بعد أن تبين له هذا الهجر الأبدي.

٣٧ - نفس المصدر، صص ٣٤٩ - ٣٤٨.

٣٨ - نفس المصدر، ص ٤٧٦.

٣٩ - الكفراوي، المصدر السابق، ص ٣٨.

نجد في ثنايا ديوانه الشعري أنّ الشكوى لديه ناجمة عن قلب أحرقه الفراق والأسى وكوته معالم الحب واصطلى بنار الفراق والصدود، فزال التلام والالتحام بين قلبه وعقله نتيجة ما انتابه من الحب الخائب وسيطرة الهوى الذي أفقده السلوان والصبر، وهذا مما ساقه مساق الشكوى من استحواذ الحب عليه ومرارة العشق، فانفطر قلبه حباً، فأصيب بالإحباط النفسي الكبير الذي جاءت أصداؤه في مثل هذه الشكوى عنده.

٤-٤- الشكوى الاجتماعية

تصدر الشكوى الاجتماعية عند أبي العتاهية إثر التدهور في الظروف الأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية السائدة على المجتمع العباسي. ذهب شوقي ضيف إلى أنّ الطبقات البائسة في هذا العصر كانت أكثر الطبقات عدداً وكانت تكدح وتشقى وتتصب عرقاً لينعم الخلفاء والوزراء وعلية القوم وكبار التجار والأقطاعيون بالحياة الرغدة والعيش الناعم غير مفكرين في جوع جائع ولا في عرى عار، بينما تتجرع الطبقات الفقيرة آلاماً ثقالاً وأهوالاً طوالاً وكأنما عميت الأبصار وصمت الأسماع^(٤٠).

ظهرت أصداؤه هذا التدهور في شعر أبي العتاهية، فيقدم للمتلقى أفضل صورة عما يعانيه جمهور الشعب من التعب والعناء والتفاوت الطبقي الهائل بين الشرائح المختلفة، فيقول:

طَغَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَارَتْ بَطُونُ الْمِرْمَلَاتِ خَمِيصَةً وَأَنْ بَطُونُ الْمَكْثِرَاتِ كَأَنَّمَا فَمَا يَعْرِفُ الْعَطْشَانُ مَنْ طَالَ رِيه	فَقَدْ دَرَسَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ الشَّرَائِعَ وَأَيَّامَهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ يَنْقِنُقُ فِي أَجْوَافِهِنَّ الضَّفَادِعُ وَمَا يَعْرِفُ الشَّبْعَانُ مَنْ هُوَ جَائِعٌ ^(٤١)
--	---

٥- شعر الشكوى عند ناصر خسرو

يتضمن شعر ناصر خسرو على أنماط مختلفة من شعر الشكوى، فمن جراء ذلك نستطيع أن نعدّ أهم مظاهرها عنده فيما يلي:

- ١- الشكوى من الزمان وأبنائه ٢- الشكوى من الشعراء ٣- الشكوى من الهجر والغربة
- ٤- الشكوى من الأصدقاء ٥- الشكوى من الشيب ٦- الشكوى من السجن.

٥-١- الشكوى من الزمان وأبنائه

تعتبر الشكوى من الزمان (الدهريات) وأهله من أهم صور الشكوى عند ناصر خسرو، والذي لا شك فيه أنّ معظم هذه الشكاوى تعود إلى عاملين هامين: الأول منهما تغيير المذهب الفكري من

٤٠ - ضيف، شوقي: الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، مصر، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٨٨.

٤١ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ٢١٧.

قَبِلَ الشاعر واعتناق الإسماعيلية واتهامه إثر ذلك بالزندقة والإلحاد، والثاني تهجير الوطن واختيار التنحي والإقامة بين الجبال الشاهقة في منطقة «يمكان». حظيت الشكوى من قِبَل ناصر خسرو بالقدح المعلن وكان الشاعر في هذا الفن يعبر عن غضبه وسخطه لما ساد المجتمع من الأعراف البالية، فمن أجل ذلك اتَّسَمَت شكواه بصدق العاطفة وشدة الحرارة ويقدم للمخاطب في تضاعيف أشعاره تلك البيئة التي عاشها بجميع جوانبها المختلفة.

إذا أجلنا النظر في ثنايا قصائده نجد أن الشكوى منبئة في طياتها وتتمحور أحياناً حول أشخاص معينين ينتمون إلى أصحاب السلطة في المجتمع كالملوك الأتراك من الغزنويين والسلاجقة، فتشبه الشكوى في هذا المجال بالانتقادات اللاذغة منهم، فضلاً عن أن ناصر خسرو كان أكثر إحساساً من الآخرين خاصة الشعراء المعاصرين له بما يجري في البلدان ومسقط رأسه من ظلم واعتداء على الحقوق ودمار، فنجد أن الشكوى مبثوثة في تضاعيف مقطوعاته المختلفة ولم تكن عنده غرضاً مستقلاً بذاتها.

تصدر شكواه من خلال إحساسه بفداحة الظروف القاسية السائدة على «الخراسان» خاصة الظروف الدينية وكثرة التلاعب بالدين والمعتقدات الإسلامية التي جلبها الاحتلال الغزنوي والسلجوقي، فراح يحمل على عاتقه تبليغ الأسس والمبادئ الدينية في المجتمع، ومن ثم أعطي أدبه عامة وشعره خاصة مهمة دينية، وحاول أن يصور صراعه النفسي بين احتماله لوضعه المؤلم وبين كيانه الأدبي الذي ربما فقدته في مثل هذا المجتمع.

رغم كثرة الشكوى في شعره فإن الشاعر لم تتح له الفرصة كثيراً ولم ينشد القصائد الطويلة في هذا المجال مع ما رأى في المجتمع من شيوع الرياء والنفاق والحرمان والتعسف وكساد بضاعة الشعر، فلعل السبب يعود إلى أن الشاعر تطرق في شكواه إلى القضايا والموضوعات التي تخص المجتمع، ومن أمثلة أبياته ما يقول:

شاد مبادا جهان هكرز كه او كرد	شادي و عز مرا بدل به غم وذل
نفسم جو نال بود و جسمم جون كوه	كوه شد آن نال و نال كه به تيدل ^(٤٢)
اي قبه كردنده بى روزن خضراء	با قامت فرتوتي و با قوت برنا
فرزند توائيم اي فلك، اي مادر بد مهر	اي مادر ما چونكه همي كين كشي از ما؟ ^(٤٣)

أي: لا جعلت الدنيا مسرورة، فإنها بدلت سروري حزناً وعزتي ذلاً. كانت نفسي كالقصب النحيف وجسمي كالجبل، فقد جعل العالم تلك النفس قوية كالجبل، والجسم كالقصب. أيها الفلك الدوار الأخضر بما فيك من الضعف والقوة، أيها الفلك، أيتها الأم الغاشمة، أيتها الأم، لماذا تظلميننا هكذا؟.

٤٢ - قبادياني، ناصر خسرو: ديوان اشعار، جاب هفتم، تصحيح مجتبی مینوی ومهدی محقق، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٨ هـ، ص ٣٤١.
٤٣ - نفس المصدر، ص ٤.

يستنتج من خلال هذه المقطوعة أنّ دلالة الزمن في شعره ناجمة عن نوع من هاجس نفسيّ وتعتبر لونا من التمرد عن الزمن الفيزيائي. ولربما يعود السبب إلى كثرة الصراعات الفكرية والدينية وعدم الاستقرار والموت المتواصل بين الثورات التي نشأت بين الناس والسلطات الحاكمة إثر إهراق دماء الأبرياء والاعتداء على الحقوق.

لاحظنا أنّ الشاعر رأى نفسه أمام قساوة الزمن وشدته، فجعل نفسه رهين الخطوب والكوارث الواقعة، ونرى من خلال شكواه نفسية قلقه متناحية تتنّ من جراء ما أحاطت به من مؤديات الدهر وغوائله، فكانت شكواه من الزمان وتقلباته شكوى تكونت من واقعه المؤلم الذي أدركه وأراد بشكواه التعبير عن السخط والتذمّر من الأوضاع التعسّة والمتردية التي شهدتها مجتمعه آنذاك.

لقد اشتكى الشاعر كثيراً في شعره من أبناء الدهر الذين رموه بالزندقة رغم علمهم بكثرة فضله وأدبه ومكانته المرموقة بين معاصريه، فالشاعر يشكي من ثلاث طبقات من الشعب في شعره، فالأولى منها الذين اتخذوا الدين أداة للعثور على المناصب والاتصال الوثيق ببلاط الحكام وذوي الثروات وهم الفقهاء، والثانية منها الغفلة والجهلة الذين يزدرون الشاعر ويقللون من شأنه من دون علم ولا بصيرة، وأخيراً الثالثة وهي الحكام والمتنفذون الذين أخذوا بزمام الحكم وكتبوا صوت حرية الفكر والقول، فيقول:

جون حكم فقيهان نبود جز كه به رشوت	بي رشوت هريك ز شما خود فقهايد
جون خصم سر كيه رشوت بكشايد	در وقت شما بند شريعت بكشايد ^(٤٤)
عامه بر من تهمت ديني ز فضل من برند	بر سرم فضل من آورد اين همه شور و جلب ^(٤٥)
دل ز افتعال اهل زمانه ملا شدم	ز ايشان به قول و فعل ازيरा جدا شدم
تا همجو زيد و عمرو مرا كور بود دل	عيبم نكرد هيچ كسي هر كجا شدم ^(٤٦)
حاكم در خلوت خويان به روز	نيم شبان محتسب اندر شراب ^(٤٧)

أي: يصدر حكم الفقهاء من أجل الرشوة، فكلّ أحد منكم فقيه من دون الرشوة. عندما يرتشي العدو فإنكم تصدرون الأحكام طلباً للرشوة. يتهمني عامة الناس بالزندقة والإلحاد حسادة على فضلي. إن فضلي جلب لي كلّ هذه الفتن والفوضى. لقد سئمت من أبناء الدهر وابتعدت عنهم قولاً وفعلاً. عندما كنت أعمى كالآخرين لم يأخذوا عليّ أينما ذهب. إنّ الحاكم في الخلوة مع الغواني نهراً، والمحتسب في معاقرّة الحمرة ليلاً.

- ٤٤ - نفس المصدر، ص ٤٤٧.
٤٥ - نفس المصدر، ص ٩٧.
٤٦ - نفس المصدر، ص ١٣٨.
٤٧ - نفس المصدر، ص ١٤١.

٥-٢- الشكوى من الشعراء

تمت هذه الشكوى بصلة وثيقة إلى مكانة الشعر وتوظيفه في عصر ناصر خسرو، فقد استخدم معاصروه الشعر أداة للعثور على الصلات الهائلة بغية التزلف إلى الحكام والمتنفذين، فمن ثم صار الشعر أداة للتكسب في أيدي شعراء البلاط لمدح الحكام والإشادة بهم. كانت نظرة ناصر خسرو إلى الغزل والتشبيب سلبية، وكان يضيق بأسلوب الشعراء الذين يبدئون القصائد بالتشبيب مع أنه كان في بداياته من أهل التشبيب ووصف المعشوق^(٤٨) وبعد المدح كذباً ويضيق بمن يمدح الأمراء والسلطين من الشعراء^(٤٩). انطلاقاً من هذا الموقف، فقد نهى نفسه عن وصف الذؤابة والعيون الزرق في الشعر معتقداً بأن هذا الأمر يحقر مهمة الأدب ويزدرجه، فاتخذ الشعر أداة للتعبير عن المثالي الدينية السامية والدعوة إلى الديانة الإسماعيلية وبث معالمها الدينية والعقيدية. فيقول في ذم التشبيب والغزل:

با بشت جو حلقه جند كوئی	وصف سر زلفك معلّق؟
يك جند به زرق شعر كفتی	بر شعر سیاه و چشم ازرق ^(٥٠)
ای شعر فروشان خراسان شناسید	این زرف سخنهاى مرا كر شعرائید
بر حكمت میری ز جه یابید جواز حرص	فتنه ی غزل و عاشق مدح امرائید؟ ^(٥١)

أي: كم تحدّثت عن وصف الذؤابة المعلقة التي يداعبها الهواء؟ لقد أنشدت فترة من الزمن حول الشعر الأسود والعيون الزرق. يا من تتكسبون بالشعر في «الخراسان»، استمعوا إلى كلامي العميق إن كنتم شعراء. كيف تريدون العثور على الحكمة مع أنكم تغترون بالتشبيب ومدح الأمراء حرصاً واستزادة.

الشعر عند الشاعر أرقى وأكثر قيمة من توظيفه للتعبير عن المدح الكاذب أو الثناء، فيعطي اهتماماً بالغاً بألفاظه وكلماته ويقول:

من آنم كه در باى خوكان نريزم مراين قيمتى در لفظ درى را^(٥٢)

أي: أنا الذي لا يطرح تحت أرجل الخنازير ثمين الجوهر في لفظ دري.

٥-٣- الشكوى من الهجر والغربة

عجّت حياة ناصر خسرو بالاضطرابات السياسية المختلفة مما دفعته إلى تهجير الوطن والابتعاد عن الوطن، إلا أنه يستمر في ذكر موطنه متعلقاً بترابه مهما ابتعد عنه وارتحل متناسياً بذلك شظف

٤٨ - شميسا، سيروس: *سبك شناسى* ٢، جاب اول، تهران، دانشكاه بيام نور، ١٣٧٢ هـ، ص ٣٦.
 ٤٩ - زرین كوب، عبدالحسين: *از كذشته ادبى ايران*، جاب اول، تهران، انتشارات بين المللى الهدى، ١٣٧٥، ص ٢٧٨.
 ٥٠ - قبادياني، المصدر السابق، ص ٤٥١.
 ٥١ - نفس المصدر، ص ٤٤٧.
 ٥٢ - نفس المصدر، ص ١٤٣.

الحياة وتقلب الأيام. إذا أمعنا النظر في شعر ناصر خسرو نجد أنواعاً مختلفة من الشعور بالغربة لديه، فمنها الغربة السياسية، الاجتماعية، الدينية، الروحية، المكانية والزمانية، فليس لدينا متسع من المجال في بحثنا هذا للتطرق إلى جميع هذه الأنماط، بل نكتفي من بينها بالغربة المكانية والدينية لما فيهما من أثر عظيم وبالع التآثير في نزوع الشاعر نحو إنشاء الشكوى.

الغربة المكانية ناتجة عن ابتعاد الشاعر من مسقط الرأس والإقامة لفترة طويلة بين الجبال الراقسة في «يمكان» والغربة الدينية ناجمة عن التلاعب بالدين والمعتقدات الدينية من قبل الأذلاء والأغرباء الذين يتحكمون في المجتمع، فتحوّلت قصائده في هذا المجال إلى آلام وأنات تفوح بالشكوى الصارخة وتتسم باللوعة والأسى.

تتجلى الغربة المكانية عند الشاعر إثر تهجير الشاعر عن موطنه ومسقط رأسه، لهذا نجد منطلقاً في الحنين إلى الوطن واشتكى من الغربة وظهرت عنده في قالب الصور والمعاني التي طفحت بالشكوى المفعمّة بصدق العاطفة ويتسم شعوره في هذا النوع من الشكوى بالتميز الناجم عن معطيات الإحساس بالغربة، فكان اغترابه عن الوطن إحدى وسائله في التعبير عن ذاتيته، فيقول:

بـانـزده سال برآمد كه به يـمكانم	جون و از بهر جه؟ زيرا كه به زندام ^(٥٣)
مانده به يـمكان به ميان جبال	نيستم از عجز و نه نيز از كلال
يـكسره عشاق مـقال منند	در كه و بيـكه به خراسان رجال
كر شـنـوندى همى اشعار من	كنك شدى رؤبه و عجاج لال ^(٥٤)

أي: لقد مضت علي خمسة عشر عاماً في «يمكان». لماذا؟ لأنني سجين. أقمتُ بـ «يمكان» بين الجبال الشاهقة وليس حلولي هنا من العجز والضعف. بين آونة وأخرى هام رجال «الخراسان» بكلامي. إن يسمع رؤية والعجاج أشعاري يعترهما الصمم.

نشأت الغربة الدينية من خلال التلاعب بالدين والاستبداد السائد من قبل الدولتين الغزنوية والسلجوقية وشيوع ظاهرة الارتشاء من قبل الفقهاء الذين انتموا إلى البلاط. ومن هنا انتشر البذخ والترف في عصر الشاعر وشاعت المذاهب الفكرية المنحرفة من قبل النظام السائد، واتخذت الحكومة الأسس الدينية كأداة للقتل والنفي وتعقيب المخالفين والتنكيل بهم.

كسدت سوق الحكمة والعلوم العقلية في عصر ناصر خسرو خاصة في «غزنة» و«الخراسان»، وعلى خلاف ذلك شاعت سوق المناقشات العقيدية والصراعات الدينية في هاتين البلديتين^(٥٥). يصف الشاعر الظروف الدينية والعقيدية السائدة على المجتمع ويقول:

همجو شب دنيا دين را شبست	ظلمت از جهل و ز عصيان سحاب
خلق نينى همه خفته ز علم	عدل نهان كشته و فاش اضطراب

٥٣ - نفس المصدر، ص ١٩٥.

٥٤ - نفس المصدر، ص ٣٤٧.

٥٥ - زرین کوب، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

خانـه خـمار جـو قـصر مـشـيد مـنـبر وـيـران و مـسـاجـد خـراب
اين شب دينست، نباشد شكفت نيم شبـان بانك و فغان كلاب^(٥٦)

أي: اسودَّ ليل الدين كليا لي الدنيا من أجل ظلمة الجهل وسحب العصيان. ألم تر أنَّ الناس انصرفوا عن العلم، فنسي العدل وراجت الفوضى. صار بيت الخمار كالقصر المشيد والمنبر مهدم والمساجد خربة. هذه ليلة الدين فلا تعجب.

٤-٥. الشكوى من الأحباء والأصدقاء.

تعتبر الصداقة من المؤشرات التي تؤدي إلى ديمومة الحياة واستمرارها، فيبحث ناصر خسرو في شعره عن الذين يحبون الفضائل الأخلاقية والدينية ويدخلون السرور على نفسه الكثيرة، وصار هذا الموضوع جزءاً من معاناته من الناس، فلربما هذه النظرة ناجمة عن فقدان الصديق المخلص والوفى طيلة الحياة خاصة في زمن الغربة.

يصور الشاعر الوحيد الكئيب في ثنـايا أشعاره أياماً تتمتع فيها بالأصدقاء الأوفياء لكنهم بعد مدة انقلبوا أعداء لدا يغتـمـون كل فرصة عليه. اشتدت أحاسيس الشعور بالوحدة من الأصدقاء حينما خلا بنفسه بين الجبال العالية في «يـمـكان» وعبر هناك عن خلجاته النفسية مشتتاً من ابتعاد الأصدقاء حتى الأقرباء منه، فيقول:

من به يـمـكانم در به زندانم از اين ديوانگان عالم السرى تو فرياد از تو خواهم، آي رب
جمله كشته ستنـد بـيـزار و نفور از صحبتـم هم زبان و هم نشين و هم زمين و هم نسب
كس نخواند نامه من كس نكويد نام من جاهل از تقصير خویش و عالم از ييم شغب^(٥٧)
تا بر خمار بودم سرم يكسر مشفق بدند بر من و غمخواره
و اکنون كه هوشيار شدم، بر من كشتند مار و كزدم و جراره^(٥٨)
وى برتافته زو خویش جو ييكانه دستكيرش نه جز رحمت رحمت يزداني^(٥٩)

أي: سـجـنتُ في «يـمـكان» من أجل هؤلاء المجانين، اللهم أنتَ عالم الغيب والسر فأغثني. اشمأز ونفر مني كل مصاحب وذو الأرحام والأقرباء. لا يقرأ أحد كتابتي ولا ييـوح باسمي، فانصرف الجاهل عني تقصيراً منه والعالم خوفاً من الوقوع في الفتنة. حينما كنت سكران تفقد كلهم علي وأما الآن فصحت وصاروا علي كالحية والعقرب والجراد. ابتعد عنه الأقرباء كالأغرباء فلا يغثه أحد إلا الله تعالى.

٥٦ - قبادياني، المصدر السابق، ص ١٤١.

٥٧ - نفس المصدر، ص ٩٦.

٥٨ - نفس المصدر، ص ٢٩٧.

٥٩ - نفس المصدر، ص ٤٣٥.

٥-٥ - الشكوى من الشيب

تميز هذا النوع من الشكوى عند ناصر خسرو بالذي نجده عند أبي العتاهية من عدة جوانب، منها أننا لا نجد ناصر خسرو باكياً على ما مضى في الحياة من عهد الشباب والمرح، بل نراه متحسراً عليه لما قضاه في اللهو والمجون والغَيِّ، فاتخذ تلك الأيام بمثابة ذخراً لأيام المشيب، فمن ثم حاول أن يبحث عما يعوض تلك الأيام، فوجد ذلك في الدين والعقل، ولا يزال يتخذ الشباب والمشيب تمهيداً للتعبير عن هذا الموضوع ويتمحور معظم مقطوعاته في الشباب والمشيب حول هذه المسألة. إن التأمل في موضوع الشيب عند ناصر خسرو يجد أنه يدور حول المحاور التالية: استرجاع أيام الشباب وما كان فيه من المرح واللهو - التحسر على مرور تلك الأيام وما حل به من الضعف والفتور في الأيام الباقية - التأمل وتدقيق النظر فيما سيؤول به الأمر إلى الحياة الأخرى - التعبير عن الموعدة والنصح لتنبية المتلقي بعدم الاغترار بالدنيا ونعيمها الزائل والاعتصام بالمثل الدينية - رجاء الغفران في أيام الشيخوخة والاعتبار بمن مضوا في القرون الخالية.

يقول الشاعر في التعبير عن الضعف والنصب أيام الشيخوخة:

لشكر بيري فكنند و قافله ذل	ناكه بر ساعدين و كردن من غل
غلغل باشد به هر كجا سبه آيد	وين سبه از من ببرد يكسر غلغل
شاد مبادا جهان هكرز كه او كرد	شادى و عز مرا بدل به غم و ذل
نقسم جو نال بود و جسمم جون كوه	كوه شد آن نال و نال كه به تبدل
نيك نكه كين كه كر استوار ندارى	شخص جو نالم كه بود جون كه بر بل
سى و دو درم كه سست كرد زمانه	سخت كجا كردد از هليله كابل؟ ^(٦٠)

أي: لقد جعلني جيش الشيخوخة وقافلة الذل مغلولاً. إذا حلّ جيشٌ بمكان يسمع فيه الجلب والأصوات، أما جيش المشيب فقد أفحمني. لا جعلت الدنيا مسرورة، فإنها بدلت سروري حزناً وعزتي ذلاً. كانت نفسي كالقصب النحيف وجسمي كالجلبل، فقد جعل العالم تلك النفس قوية كالجلبل، والجسم كالقصب. فدقق النظر إن لم تثق، فإن الدهر جعل جسمي كالقصب. قد أفسد الدهر أسناني كلها وصبرت أدرد.

٥-٦ - الشكوى من السجن

أسهمت الأسباب المحيطة بالمجتمع الإنساني التي شهدها ناصر خسرو على بروز ظاهرة السجن كعقوبة فرضها الجهال والمتزمتون عليه فضحى الشاعر بنفسه وجعل ذاته في بحبوحة الأحداث من أجل مقاومة المحاكاة العمياء خاصة في القضايا الدينية والوقوف من وجه التعسف والاعتداء على الحقوق ورفض امتهان مصائر المجتمع الذي عاشه.

٦٠ - نفس المصدر، ص ٣٤١.

إذا أمعنا النظر في ظاهرة السجن وكثرة تراددها في شعر ناصر خسرو نجد لديه ثلاثة أنواع منها، النوع الأول السجن المكاني وهو الذي نسج من نوع الجبال الشاخنة والراسية التي تستطيع أن تحصر كل إنسان وهي منطقة «يُمكن» التي قضى الشاعر فيها خمسة عشر عاماً وأكثر من ترداد ذكرها في ديوانه الشعري وأشاد بها لما فيها من علو شأنه وفخره بها، والنوع الثاني نشأ من خلال آرائه ونظرياته الفلسفية التي نستطيع أن نسميه «السجن الفلسفي» وهو السجن الذي حصر فيه الشاعر الروح في سجن الجسم، واعتبر الجسم بمثابة سجن للروح، والنوع الثالث هو سجن العالم وحصر الشاعر أبناء البشر في سجن الدنيا، فمن ثم نستطيع القول إن الشاعر سمى نفسه «رهين المحابس الثلاثة».

إن صورة الإباء والمنعة لازمتها طوال هذه السنوات المديدة، فأظهر تحمّله على مضض الأيام غير أن هذا السجن طال ورق قلبه فعمّه الذل والشعور بالوحدة وغلب عليه الألم والشكوى ووجد في الشكوى طريقاً للنجاة من هذا السجن بعدما دب اليأس في كيانه وانقطع رجاءه:

بكذر اي باد دل افروز خراساني	بريكي مانده به يميكان دره زنداني
اندر اين تنكي بي راحت بنشسته	خالي از نعمت وز ضيعت و دهقاني
برده اين جرخ جفايشه بيدادي	از دلش راحت وز تنش تن آساني
دل بر اندوه تر از نار بر از دانه	تن كدازنده تر از نال زمستاني ^(٦١)

أي: أيتها الريح الخراسانية، مُرِّي على السجين بـ «يُمكن» الذي أقام فيه حزيناً محروماً من النعمة والضيعة والتمليك. سلبه الدهر الجائر الراحة والرفاهية. قلبه أحرق وأحزن من نار مليئة بالحبات والجسم أكثر احتراقاً من القصب اليابس.

يعتبر السجن الفلسفي نوعاً آخر من السجن الذي ذكره ناصر خسرو في تضاعيف أشعاره، وهو يعبر عنه باغتراب الروح في الجسم، فيطمع إلى عالم روحي مثالي وراء هذا العالم الأرضي فتطّلع إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم صناعي من عند نفسه. هذه الفكرة تذكرنا بعقيدة أبي العلاء المعري الذي سمى نفسه «رهين المحبس» أو «رهين المحابس الثلاثة» حيث قال في ديوانه «اللزوميات»:

أراني في الثلاثة من ساجوني	فلا تسأل عن الخبر النيث
لفقدي ناظري، ولزوم بيتي،	وكون النفس في الجسد الحثيث ^(٦٢)

انطلاقاً من هذا الموقف، اعتبر ناصر خسرو الجسم بمثابة سجن للروح يمنعها من التحليق في فضاء الحكمة والمعرفة الحقيقيتين، ويقول:

زندان جان تست تن اي نادان	تيمار كار او جه خوري جندين؟
تنين تست نت حذر كن زو	زيرا بخورد خواهدت اين تنين

٦١ - نفس المصدر، ص ٤٣٥.

٦٢ - المعري، أحمد بن عبدالله: اللزوميات، مج ١، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ص ٢٤٩.

بنكر كه جيست بسته در اين زندان زنده و روان به جيست جنين اين طين^(٦٣)

أي: أيها الجاهل، إنَّ جسمك سجن روحك، فلماذا تمرّضه هكذا؟. الجسم تنينك فاحذر منه، لأنّه سيقضي عليك. أنظر إلى ما رُبط في هذا السجن وبأيّ شيء يحیی هذا الجسم؟!.

اختلط الدين وما يتصل به من المفاهيم في كيان الشعراء المغترّبين خاصّة عند الزّهاد والنّسّاك الذين تركوا الدنيا ومتاعها الزائل وانكبوا على الورع والتقوى، ومن هذا الموقف يقترب الزّهاد من المتصوّفين و«لا شكّ أنّ الوصول إلى هذا الفهم مرّ بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخاصّ لدى الصوفية عن غربة الرّوح في الجسد بل في هذا العالم»^(٦٤). من هنا يشكل انحباس الروح رافداً من روافد الشكوى عند ناصرخسرو ليضيف إلى أحزانه ومآسيه نوعاً آخر من الحزن الفلسفي الذي يعمق الحسرة والشكوى للحدّ من تطلّعاته، وجعلت هذه الشكوى حياته ممزوجة بالشعور من الكبر والخضوع والانتصار.

النتيجة

اتّضح لنا من خلال ما سبق عن الشكوى في شعر أبي العتاهية وناصرخسرو أنّ شعْرهما يمثل صورة صادقة من الفرح أو الترح والحبّ والكراهة والشحنات النفسية للقارئ وتعطي صورة واضحة لحالاتهما الشعورية وكذلك الظروف بمختلف أنواعها التي عاشها الشاعران.

إذا دقّقنا النظر في شعر الشكوى عند هذين الشاعرين نجد أنّ الشكوى لم تأت في تضاعيف قصائدهما بصورة مستقلة، فانتشرت ضمن مقطوعاتهما مما يؤكد على تفاعل الشكوى مع الأغراض الأخرى في شعْرهما. لقد حاول كلا الشاعرين أن يعبراً عن الشكوى العامة والخاصة في شعْرهما، فمنها ما يتعلّق بذاتهما ومنها ما يتعلّق بقضايا العصر والظروف السائدة على المجتمع.

يوجد في شعْرهما تداخل كبير بين الشكوى والرفض العامّ للواقع، فاستغلّ أبو العتاهية من خلالها لتمرير أمانيه والتعبير عن تطلّعاته والصراخ واتخذ النذب أداة للتعبير عن سوء حاله وما حلّ به من المصائب والغوائل. تلقى الشكوى ظلالها على شعر أبي العتاهية وناصرخسرو فتكسب شعْرهما طابعاً حزيناً ونوعاً من التمرّد والرفض العامّ الذي يتميّز بجماله الفني الذي يؤثّر على نفسية الإنسان، وحاول كلا الشاعرين أن يزيلا المسافة الموجودة بين العالم الواقع الذي يعيشانه والطموحات والتطلّعات التي يرسمانها نصب أعينهما، فاشتكا من الواقع المتناقض الذي أحاط بهما.

٦٣ - قيادياني، المصدر السابق، ص ١٤٤.

٦٤ - أشرف علي، الدعدور: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ط ١، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

اتّسمت الشكوى عندهما بصدق العاطفة وقوّة التأثير والابتعاد عن التكلّف والتنميق اللفظي، فمن ثمّ تمسّ شغاف القلوب وتعالج الشؤون الإنسانية التي تتعلّق بالفرد والمجتمع لما تكشف عن التدهور الاجتماعي والسياسي والخلقيّ سعياً للعثور على الحلول المناسبة لمشاكل الإنسان وتذليلها. يستنتج أنّ شعر الشكوى لديهما وليدة المعاناة وفاضت نفسيهما أسى ولوعة، فجاءت الشكوى عندهما في كثير من محاورها تقريرية مباشرة.

المصادر والمراجع العربية

- ١- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دمشق، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
- ٢- أشرف علي، الدعدور، الغربية في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ط١، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٢م.
- ٣- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، شرحه سمير جابر، مج٤، ط١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- ٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن محمد بن محمد: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٠ هـ، مادة شكّا.
- ٥- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم نجار، مج١، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.
- ٦- بشينه، جميل، ديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ.
- ٧- التميمي، قحطان رشيد، «الشكوى في الشعر الجاهلي»، مجلة كَلِّية الآداب، جامعة بغداد، مج٢، العدد ١٣، ١٩٧٠م.
- ٨- ثقفان، عبدالله بن علي، الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، ط١، الرياض، مكتبة لتوبة، ١٤١٧ هـ.
- ٩- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين (مج٣)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ١٠- الزهيري، محمد، الأدب في ظل بني بويه، مصر، الأمانة، ١٩٤٩م.
- ١١- الشهري، ظافر عبدالله، الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م.
- ١٢- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط٧، مصر، دار المعارف، د.ت.

- ١٣- - - - - ب. الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، مصر، دار المعارف، ١٩٧٧ م.
- ١٤- علوش، سعيد، الأدب المقارن في العالم العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ١٥- الفاخوري، حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب المولّد)، مج ٢، بيروت، دارالجيل، ١٩٩١ م.
- ١٦- الكفراوي، محمد عبدالعزيز، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢ م.
- ١٧- المعري، أحمد بن عبدالله، اللزوميات، مج ١، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.
- ١٨- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج ٣، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر. د. ت.
- ١٩- نوفل، محمد محمود قاسم، المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧ م.

المصادر والمراجع الفارسية

- ٢٠- اسلامي ندوشن، محمد علي، بيوند فكر و شعر در نزد ناصرخسرو، مشهد، دانشگاه فردوسی، ١٣٥٥ هـ.
- ٢١- داديه، اصغر، دايرة المعارف بزرگ اسلامي، ج ١١، تهران، ١٣٨١ هـ.
- ٢٢- زرین کوب، عبدالحسين، از گذشته ادبی ایران، جاب اول، تهران، انتشارات بين المللی الهدی، ١٣٧٥.
- ٢٣- شمیسا، سیروس، سبک شناسی شعر، جاب دوم، تهران، فردوس، ١٣٧٥ هـ.
- ٢٤- - - - - سبک شناسی ٢، جاب اول، تهران، دانشگاه پیام نور، ١٣٧٢ هـ.
- ٢٥- صفا، ذبیح الله، تاریخ ادبیات در ایران، ج ٢، تهران، فردوس، جاب هشتم، ١٣٦٦ هـ.
- ٢٦- قبادیانی، ناصرخسرو، دیوان اشعار، جاب هفتم، تصحیح مجتبی مینوی ومهدی محقق، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٨ هـ.